بقلم الوجدان

على فراش الموت

الأخ أبو حفص

بعيداً عن بلده أتاه رسول الموت ، فبقي ينتظر النهاية وأولاده حوله لا يملكون سوى الاستماع لما يقوله الوالـــد العجوز :

نعم .. لقد وقّع العالم وثيقة فناء شعبنا الحبيب .. إنّني حينما أحدثكم بقصتي إنّما أتحدث عن شعب كامل جـــنى عليه القريب قبل البعيد ، وكان البعيد من الوحشية وعدم الإنسانية ، ما لا يقابله رجل هزيل أعزل أمام أسد شـــرس جائع

خرجت من حيفا فالتمست نسيمها في مدينة القدس ، وأبى الطغيان إلاّ أن يبعدني عن تلك المدينـــة الحبيبـــة .. وهأنذا كما ترون على فراش الموت بعيداً عن وطني

لقد أعمل اليهود سكينهم في رقاب أهل البلاد ، إنّنا لا ننسى مذبحة دير ياسين .. وأحرقوا من التجأ إلى المناطق المجاورة ، وما جنوب لبنان عنكم ببعيد .. وشرّدوه في بقاع الأرض .. والآن يقيمون معاهدة السلام مع مصر علـــى أسس تقلب التاريخ وتمسخ صورته مثالاً لمعاهدات يحلمون ويخططون لها مع باقي دول المنطقة

أولادي الأعزاء .. إنّ أفضل ما يقوله الإنسان على فراش الموت هو (لا إله إلاّ الله) .. إلاّ أنـــني أرى أنّ الـــذي أحدّثكم به هو ما تدلّ عليه (لا إله إلاّ الله) .. أن أرضكم التي لم تروها بأعينكم قد جعلها الله على مرّ العصور ثالث أرض يهاجر إليها ، وجعلها فيما مضى من العصور أولى قبلة يتوجه إليها ، فهل ينساها من خلطت بلحمه ودمه (لا إله إلاّ الله) ؟ ..

إنّني وإن اقتربت من النهاية ما زلت أذكر وعد رسول الله ﷺ بمقاتلة المسلمين ليهود ونصر الله للمسلمين ، ومـــا كنت أشك في هذا الوعد بالرغم من الهزائم المتلاحقة التي أصابتنا ، وفي كلّ مرة كنت أعلّل الأمر بشيء تقبله النفس وتطمئن إليه .. لقد واجه اليهود سبع دول عربية ورغم أنوفها أقاموا دولتهم على أرضنا الحبيبة .. قلـــت : إنّ وراء اليهود الإنجليز ذوي الأسلحة الفتاكة ، وما كان بأيدينا من السلاح لا يصلح لصيد الحيوان فضلاً عن الدخل بـــه في معركة والله يقول : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ** ... ﴾ [الأنفال : ٦٠]

وجاءت معركة الخامس من حزيران/يونيو ، وانكشفت جيوشنا كما انكشفت بالأمس وولّت هاربـــة ، ولقـــد جمعنا جنود الأعداء أوّل دخولهم في أحد معسكرات الجيش الأردني المهجورة ، ووجدنا فيها ما وجدنا من الأسلحة ، فعرفت أن السبب ليس نقصاً في الأسلحة وبقي إيماني بوعد رسول الله ﷺ قوياً كقوة إيماني بالله عزَّ وجلَّ ، وبحثـــت عن سبب الهزيمة وقلت : إنّنا أصبحنا دولاً مختلفة فيما بينها أشدّ الاختلاف والله يقول : ﴿ ... **وَلا تَنَـــازَعُوا فَتَفْـــشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ... ﴾ [الأنفال : ٤٦]

ولا أريد أن أفصل لكم عن معركة رمضان ، هل كان نصراً أم هزيمة .. إلاّ أنّني أريد أن أقول : إن كانت فعـــلاً نصراً فلماذا نسرع إلى العدوّ نخطب ودّه ونتقي شره ؟ ..

أتريد أن نقول : العفو عند المقدرة ؟

هل تحققت مقدرتنا حتى نحقق عفونا وما زال العدوّ جاثماً على مسرى رسول الله ﷺ ؟ ..

بحثت عن السبب فوجدته ناصعاً واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار .. مع أول طلقة أُطلقـــت في مـــسيرة الثورة العربية الكبرى أعلن التخلّي عن التبعية لله عزَّ وجلَّ ، والتقيّد بالتبعية لما يقال عنه الدول الكبرى .. إن لم يكن هذا الأمر قد أعلنته الجماهير والشعوب الإسلاميّة ، فقد أعلنه من يحكم هذه الجماهير والشعوب بـــصورة مختلفـــة ، وخطوة خطوة أراد هؤلاء إبعاد المسلمين عن إسلامهم إلى ما وصلت إليه الأمة في الوقت الحاضر من واقـــع مـــؤلم ووضع ذليل

إنّ الأسباب التي وضعتها للهزائم –وغيرها كثير– هي أسباب هزيمة قوم مسلمين يحكّمون شرعة الله ويحكمـــون بكتاب الله ، وأما إن ترك كتاب الله جانباً ، وحكمَ واقع هؤلاء القوم كتاب آخر ، ليكن اسمه ما يكون ، فـــسيكون سبب الهزائم هو ترك كتاب الله ، فإذا عادت الأمة إليه تحكّمه فيما بينها ، فاعلموا أن النصر حينئذ ســـيكون قـــاب قوسين أو أدنى .. إذ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين

أي بنيّ ! .. إنني أتوقع ما يدور بخلدكم كما يلي : ماذا نفعل لوالدنا بعد رحيله ؟ .. كيف يمكننا أن نعيـــد لـــه بعض جميله ؟ .. ذلك لمعرفتي بكم

إنّني لا أريد أن أثقل عليكم بالتفكير فأعطيكم الجواب : يقول رسول الله ﷺ : « **إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ : أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ** » رواه مسلم .. وأما الصدقة الجارية فقد سلبني الأعداء كلّ شيء فلا أقدر عليها ، وأما العلم النافع فما حدثتكم به آخر حياتي ، وأما الولد الصالح فلا أشـــك فيكم ، وأما الدعوة التي أريد أن تدعوا لي بها ، فهي أن تنقلوا ما حدثتكم به إلى واقع الحياة بعد إذ غلبتني منيتي قبل تحقيقه

ويميل برأسه ويلفظ آخر أنفاسه وهو يقول : عليكم بكتاب الله ! يردّدها .